طرق انتشار الإسلام في الصَّحرَاء الكبرى
(قبائل الطَّوَارق مِثَالاً)

The ways of spreading Islam in the Sahara, the Tuareg tribes as a model

م. د. أياد يونس عريبي

كلية التربية الجامعة المستنصرية

التخصص الدقيق: تاريخ أفريقيّا الحديث

M.D. Ayad Younes Oreeby

College of Education Al-Mustansiriya University

Specialization : Modern African History

Email : aidass887@gmail.com

المُستخلص

إنّ العودة إلى الجذور الفكريَّة والدِّينيَّة، والمعتقدات الأُخرى لهذه القبائل تكشف لنا سراً من اسرار طرق تفكيرهم ومستواهم العقلي، فعندما نتكلم عن إسلام الطَّوَارق يرسخ في ذهننا انه إسلامٌ مشُوبٌ بصبغةٍ بدويةٍ في مفهومه ومجالاته وخصائصه، على الرغم من اقتران الإسلام تاريخيّاً ودِينيّاً وثقافِيّاً بالبداوة ومنذ نشأته في الجزيرة العربيَّة وانتشاره خارجها، ومما يتسم به الإسلام البَدَويّ هو الميزات الثَّقافِيّة التي طبعت فهمهم للإسلام، وتصورهم له وتطبيقهم تعاليمه في ضوء عرفهم وعاداتهم وتقاليدهم بحكم حياة العزلة وايمانهم ببعض التقاليد والقيم العرفية التي تتقاطع بشكل او باخر ونقاوة الإسلام.

تناول هذا البحث أهمّ محفزات طرق انتشار الإسلام ومنها اقتصادِيَّة مثل الطرق التّجارِيَّة، ودِينيَّة مثل الحج والطرق الصُّوفيَّة التي كانت رائدةً وفاعلةً في نشر الإسلام بين القبائل الوَثَنِيَّة والبِدائيَّة .

الكلمات المفتاحية: الطَّوَارق، الصَّحرَاء الكبرى، طرق القوافل، الحج، المرابطون، الطرق الصُّوفيَّة، المسيح، التبشير، تمبكتو، الهقار، الزوايا، السودان، السَّنوسيَّة، التّيجانِيَّة.

Abstract

Returning to the intellectual and religious roots, and the other beliefs of these tribes reveals to us one of the secrets of their ways of thinking and their mental level. Its origins in the Arabian Peninsula and its spread outside it, what characterizes Bedouin Islam are the cultural features that characterize their understanding of Islam, their conception of it and their application of its teachings, in the light of their custom, customs and traditions, by virtue of the life of isolation and their belief in some customary matters that intersect and the purity of Islam. Including economic, such as trade, and religious ones, such as pilgrimage, and the Sufi paths, which were pioneers and active in spreading Islam among the pagan and primitive tribes.

Keywords: Tuareg, Sahara, caravan routes, Hajj, Almoravids, Sufi orders, Christ, evangelization, Timbuktu, Hoggar, Zawiya, Sudan, Senussi, Tijaniya .

المقدمة

أثمر الاهتمام الذي اثاره تاريخ دول القارة الأفريقيّة ـ سيما تاريخ القبائل ـ لدى عددٍ كبيرٍ من الباحثين والمهتمين بالشأن الأفريقيّ عن دراساتٍ متنوعةٍ وبالتحديد فيما يتعلق منها بتاريخ قبائل الطَّوَارق، اذ لم تتعمق هذه المؤلفات بنحوٍ عامٍّ في الأصول والآنساب والتسميات وعمق النضال الذي احترفه رجال تلك القبائل، فبقيت تفاصيل كثيرةٌ مهمةٌ بعيدةً عن البحث التاريخي الذي يؤرخ لتأريخ تلك القبائل.

يعد إسلام الطَّوَارق إسلاماً بدوياً يلائم حاجاتهم ورغباتهم المادية والمعنوية، وقد ظلَّ الإسلام البَدَويّ يؤثر عميقاً ولغاية الآن على مجمل نواحي الحياة، ومن المعلوم أن الإسلام ومذاهبة جاء ليهذّب ويشذّب العادات والتقاليد، ولكن فيما بعد أسهَمَت الطرق الصُّوفيَّة عند الطَّوَارق مثل السَّنوسيَّة والقَادِرِيَّة في بَثّ تعاليم الإسلام، ومحاولة إنضاج الوعي الإسلاميّ بينهم مع العلم أن هذه القبيلة تعيش حياةً شبه مغلقة.

أسهَمَت طرق القوافل في توفير العديد من فرص العمل لمواطني الصَّحرَاء، مثل التحميل والأدلَّاء وتأجير الجمال، فَضلاً عن الاحتكاك بين مختلف الثقافات وبالأخص نشر تعاليم الدين الإسلاميّ، وهذا ناتجٌ ايجابيٌّ يحتسب لصالح التجارة.

جاءت الدراسة في ثلاث مباحث، تناول المبحث الأول الدَّور الذي أسهَمَت به دول شمال أفريقيّا في بَثّ تعاليم الإسلام في اعماق أفريقيّا، اذ انطلق

الإسلام منذ العهد الأمّوِيّ على يد القادة الفاتحين مُروراً بالمرابطين والموحدين والادارسة، فيما تناول المبحث الثاني المبحث الثاني التفاعل الذي ابداه الطَّوَارق تجاه الطرق الصُّوفيَّة ودورها الريادي في بَثِّ الوعي الإسلاميّ، فيما تناول المبحث الثالث تاريخ الطرق الصُّوفيَّة في المنطقة فَضلاً عن بعض الممارسات الدِّينيَّة التي تندرج ضمن التدين الشعبي، وقد اعتمدت الدراسة على عددٍ من المصادر الأساسيَّة العربيَّة والاجنبية، حاول البحث أدنَاه إعطاء اجابات عن العوامل التي تضافرت في نشر الإسلام في الصَّحرَاء الكبرى، والله سبحانه وتعالى من وراء القصد ومنه التوفيق والسداد.

المبحث الأول: دول شمال أفريقيّا ودورها في نشر الإسلام في الصَّحرَاء الكبرى

قديما كان الطَّوَارق يدينون بالديانة المجوسية، فقد تحدث ابن خلدون بما نصه : «كان دين صنهاجة اهل اللثام المجوسية شأن برابرة المغرب، وما يزالون مستقرين بتلك المغالاة الصحراوية حتى كان إسلامهم بعد فتح الأندلس»[١]، وقد أوردَت المصادر تأثر الطَّوَارق ببعض الديانات المعروفة، ففي بعض الأوقَات يدينون بدين من تغَّلب عليهم، كالروم واليونان وغيرهما، وقد اتاهمّ الإسلام وهم على دين النَّصرانيّة، وبعضهم على دين اليهودية[٢] وتوجد بعض الأدلَّة غير القاطعة او غير المسندة تاريخيَّاً توحي باحتمال تأثرهم بالمسيحيّة في بعض المراحل من تاريخهم الطويل، اذ اشتملت لغتهم على عددٍ من الكلمات التي قد يكون لها أصلٌ مسيحيٌّ، فَضلاً عن وجود عددٍ من الرسوم المسيحيّة والقلائد التي تعّلق في الصدور، وذلك دليلٌ على أنَّ المعتقد الديني الأول عند الطَّوَارق هو المسيحيّة[٣]، وما يمكننا اضافته لا يمكن الاعتماد على هذه المقاربات لأنها تخمينات غير منطقية، فاللغة شيءٌ والديانة شيءٌ آخر، ممكن تكون بعض هذه القلائد والادوات والرسوم جاءت مصادفة تتطابق مع الصلبان وغيرها، مع العلم ان اقلام المستعمر حاولت ايجاد بعض المشتركات من أجل دمج هذه الشعوب المستغلة بالمنظومة الاستعمارية.

انتشر الإسلام في أفريقيّا من منبع الرسالة الجزيرة العربيَّة، وقد تغلغل الإسلام إلى الصَّحرَاء الكبرى نتيجة لعدَّة عوامل أهمّها: تأمين الطرق الصحراوية، وإسلام الطَّوَارق التي كانت تمتلك معارف الصَّحرَاء، وحفر الآبار ذات الأهمّية للقوافل القاطعة للصحراء الكبرى[٤]، وقد أوردَ خليفة بن خياط ان بدايات وصول الإسلام إلى الصَّحرَاء الكبرى، كان بوصول عقبة بن نافع إلى واحة غدامس ووضعها تحت لواء الدّولة الإسلاميَّة عام ٦٦٣م[٥]، وهو أول من ادخل الطَّوَارق للإسلام، علمَاً أنَّ جزءاً من قبائل الطَّوَارق في اعماق الصَّحرَاء

الكبرى ظلَّت وثنية ولم يصلها الإسلام حتى ثلاثة قرون بعد الفتح الإسلاميّ[٦].

عندما نورد تاريخا محددا لانتشار الإسلام في الصَّحرَاء الكبرى، فهو تاريخٌ غير شاملٍ لكل المواقع الجغرافيَّة والمراحل التاريخية بصورة دقيقة، وذلك بسبب اتساع رقعة البحث وانعدام الدراسات المختصة بهذه الجزئيات، فالباحث لم يعثر على خرائط او وثائق شافيةٍ تحدد مواقع البوادي، ولكن هنالك مناطق ذائعة الصيت تعطي صورةً عن الممارسات الدِّينيَّة في الصَّحرَاء الكبرى مثل غدامس وجانت واغاديس وتمبكتو.

أسهَمَ قادة الدّولة الأمّوِيَّة ومنهم ابو المهاجر دينار وحسان بن النعمان في اكتساب ودِّ بعض قبائل الطَّوَارق من أجل ضمهم تحت لواء الدّولة الأمّوِيَّة، وفي عهد ولاية موسى بن نصير أمر العرب ان يدرّسوا الطَّوَارق القران الكريم وان يفقهوهم في السُّنَّة النبويَّة، وكانت سياسته استكمالاً للسياسة التي نهجها أبو المهاجر وحسان بن النعمان، اذ عمل موسى بن نصير على اصطناع ود الطَّوَارق واشراكهم في جيوشه، وتكليف الفقهاء المسلمين بتعليمهم قواعد الإسلام، فنشأ عن تلك السياسة اندماج المغرب في بوتقة الدّولة الإسلاميَّة، فصار يدين بدينها ويتكلم بلغتها العربيَّة، وكان نشر الإسلام يسير مع الفتح بصورةٍ متوازيَّةٍ جنباً إلى جنبٍ، فتمَّ بناء المساجد ومنها تشييده مسجداً في اغمات هيلانة في المغرب الأقصى[٧].

رغم ان ولاة القيروان بالمغرب الأقصى فقدوا نفوذهم، لكنهم ظلَّوا يهتمون بشؤونه وعملوا جاهدين على الإبقاء على الصلات التي تربطهم بأفريقيّا اذ استطاع عبد الرحمن بن حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري زعيم اليمينية بعد ان اخرج من ولاية أفريقيّة حنظلَّة بن صفوان عام ٧٤٤م ان يتمم ما بدأه جده منذ نصف قرن تقريبا، فتمكن جنوده ان يعبروا الصَّحرَاء لأول مرة، وأن ينشروا الإسلام في صحراء الطَّوَارق، وحفروا سلسلةً من الآبار المنتشرة على

طول واحات الصَّحرَاء الكبرى، فاتصل التجار بديار الطَّوَارق بواسطة طريقين، طريق ساحل المحيط، وطريق الصَّحرَاء وغدت القوافل أكثَر جرأةً واستعداداً لارتياد هذه الطرق، وكان نتيجة هذه الجهود هو وصول الإسلام إلى غرب أفريقيّا[٨].

وهناك عدة عوامل أسهَمَت في نقل الثقافة الإسلاميَّة إلى هذه البقاع، منها: سقوط مدينة بغداد على يد المغول في عام ١٢٥٨، وجلاء عددٍ كبيرٍ من العلماء الذين ساهمّوا في تفعيل الدعوة الإسلاميَّة[٩]، وكان للشيخ عبد الله بن ياسين الدَّور الاساس في ادخال الطَّوَارق للإسلام بعد عقبة بن نافع، اذ ساهمّ في نشر مبادئ الثقافة العربيَّة والإسلاميَّة، وقد رسخت تعاليمه في نفوسهم بالغ الأثر، واطلق عليهم تسمية المرابطين نسبة إلى رباط عبد الله بن ياسين، ولم تكن هذه المهمة بالأمّر الهين اذ حافظ الطَّوَارق على العديد من عاداتهم ولغتهم واستقلالهم لمدد طويلة، بالرغم من دخول الإسلام إلى أفريقيّا، وكان دخولهم واقتناعهم بتعاليم الإسلام يحتاج لوقت طويل حتى يتغلغل في نفوسهم[١٠].

قامت دولة المرابطين أساساً على نشر تعاليم المذهب المالكي، وهدفت للعودة بالمجتمع إلى نقاوة عهد السلف الصالح، وفرضت هيبتها وسيطرتها عملاً بمبدأ الأمّر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقضاء على البدع والمنكرات، واعلنت حربا شاملة ولا هوادة فيها فقضت على الفسوق من الخمور وآلات الموسيقية، وطالبت الناس بمباشرة القيام بأمور دينهم، وبذلك لقيت دعوة المرابطين الترحيب اينما حلت واستعان بها الفقهاء والعلماء لتخليص البلاد من الفساد والظلَّم، وفتحت أغلب المدن ابوابها للمرابطين من أجل الإصلاح الديني[١١].

كان لإسلام قبائل الطَّوَارق منذ بواكير دخول الإسلام إلى أفريقيّا، اثر على تطور الاحداث الهامة في الصَّحرَاء الكبرى لاسيما، بعد ان قام حلف لجمع شتات

الطَّوَارق بزعامة (اللمتوني تيلوتان بن تيكلان)[١٢]، الذي اعتنق الإسلام وكان احد اهداف الحلف التوسع باتجاه الجنوب لنشر الإسلام بين القبائل الزِّنجيَّة في السودان الغربي[١٣].

وللطوارق فضل كبير في مبايعة الادارسة الذين ادوا دورا مهمَّاً في اقرار السلام في البلاد، وذلك عن طريق الثقافة العربيَّة والإسلاميَّة التي وصلت إليهم عن طريق عبد الله بن ادريس عندما سيطر على أقاليم قبائل الطَّوَارق[١٤]، وبذلك انضوى الطَّوَارق تحت لواء دولة الادارسة، وأصبَحَت الصَّحرَاء الكبرى جزءاً أساساً من دولتهم يولون عليها الولاة، واخضعوها للحكومة المركزية في فاس، فأسهَمَ شكل النظام السياسيّ هذا في زيادة تحول واحتواء الطَّوَارق نحو الإسلام[١٥].

ومما لا شك فيه ان حركة الحجاج والقوافل التّجارِيَّة بين شمال وجنوب أفريقيّا عبر الصَّحرَاء بفضل حركة القوافل ساعد على ازدهار الجو التعليمي في محطات هذه القوافل بما حمله هؤلاء المسافرون من تجارة او الحجاج من انباء وافكار واخبار عن العلم والعلماء والكتب والتآليف الجديدة إضافَةً إلى حلقات التدريس والمناظرات، وغيرها من الأنباء التي تؤكد مدى التواصل الفكريّ والتتبع الدقيق لكل ما هو جديد، وقد انشأ المتصوفة القادمين من المغرب عدداً من الزوايا في ليبيا عبر طرق التجارة مثل زاوية زيلتن وزاوية مصراته وزاوية تاجوراء والجبل الغربي، وكان رجال القوافل يتلقون التعاليم الروحية والبركة ذهاباً وايابا على يد شيوخ تلك الزوايا، وفي القرن الثالث عشر الميلادي حدث ازديادٌ ملحوظٌ في عددٍ من هذه الزوايا مما أُدَّى إلى انتشار الإسلام بين قبائل الأمّازيغ والعرب التي تسكن الصَّحرَاء الغربية، اذ انتشرت الطرق الصُّوفيَّة انتشاراً واسعاً بين القبائل الصحراوية، وذاع صيت ما يعرف بالأولياء والشيوخ، ويبدو أَّن هذه القبائل قامت بدورٍ كبيرٍ في انتشار الطرق الصُّوفيَّة فيما وراء الصَّحرَاء، وذلك لسيطرتهم على طرق القوافل والحج بين الشمال والجنوب، فلقد كان يقوم اصحاب تلك

الزوايا بإدخال سكان أفريقيّا في الإسلام وتعليمهم مبادءه ثم ارسالهم إلى داخل القارة دعاةً مخلصين، ومن هنا فلا عجب ان يحدثنا التاريخ عن العديد من ملوك بلاد السودان اعتنقوا الإسلام عن طريق بعض التجار ثم فرضوه على شعوبهم وقد حدث هذا في مالي وكنو وكاسا وكانم[١٦].

وقد أُدَّت الصلات التّجارِيَّة دوراً مهمًّاً في نشر الإسلام في مختلف بقاع الصَّحرَاء الكبرى بين مختلف قبائل الطَّوَارق، لوجود شبكة الطرق التّجارِيَّة التي كانت ممتدةً في أغلب انحاء الصَّحرَاء، – من جهةٍ أُخرى – أُدَّى رجال الطرق الصُّوفيَّة[١٧]، ومعلّمو القران الكريم دوراً مهمًا في نشر الإسلام[١٨]، وقد جَّند السنوسيون انفسهم لنشر الدين الإسلاميّ واللغة العربيَّة، لاسيما بين الطَّوَارق الذين يتكلمون لغتهم التماشق، وان هؤلاء منذ ان تعلقوا بالطريقة السَّنوسيَّة [١٩] صار منهم من يحفظ القران الكريم وتعاليمه، فَضلًا عن تخرُّج عددٍ كبيرٍ من الفقهاء الطَّوَارق امثال الشيخ الغدامسي[٢٠].

وافقت بواكير انتشار الإسلام لدى مجتمع الطَّوَارق بساطة الحياة الصحراوية، فجاء متوافقا لعفوية حياة البساطة التي يعيشها البدو الرحل ولم ينكر الإسلام تراثهم وتدينهم الشعبي، وقد مال الدعاة إلى المحافظة على الاعراف والتقاليد المألوفة، وقد اشبعت الطرق الصُّوفيَّة بعض العادات الشعبية مثل حل بعض المشاكل الاجتماعيّة او الدعاء للمطر او الحصول على البركة في الرزق او العيال حتى اخذت هذه العادات تأخذ نوعاً من القدسيَّة في نظرهم .

المبحث الثاني : موقف القبائل من الطرق الصُّوفيَّة

نتيجة لرواج الطريقة السَّنوسيَّة في الصَّحرَاء الكبرى افتتحت في طرابلس ثمان عشرة زاوية، وفي فزان خمس عشرة زاوية، وفي الكفرة ستُّ زوايا وفي السودان اربع عشرة زاوية، وفي الحجاز سبع عشرة زاوية، وكانت هذه الزوايا مدارس علمٍ، ومواطن عبادة ومجالس للشورى، في أماكن يسهل الدفاع عنها والاتصال بينها، وغالبا ما تختص كل زاويةٍ بعائلةٍ معيَّنةٍ أو فخذٍ من عائلة، كما كانت تلك الزوايا أسواقاً تجاريةً ومحطاتٍ للقوافل، وقواعد لنشر الدعوة السَّنوسيَّة وكانت الخطة العامة للزوايا هي فتح البلدان الأفريقيّة الإسلاميَّة، وتوحيدها تحت زعامة خليفة مسلم، ولكن ذلك لا يتحقق الا بعد ان يسبقه تجديد للإسلام، وارساء للقيم الاخلاقية بين المسلمين وعين لكل زاوية مقدم عهد إليه بتولي أمور قبيلته، وفصل الخصومات بينها وتبليغ الاوامر الصادرة من السيد السنوسي إلى الاتباع والمريدين، ويليه وكيل الدخل والخراج انيط به النظر في زراعة الاراضي وجميع الأمّور الاقتصاديّة، وجرت العادة ان يتبرع كل فرد من افراد القبيلة بحراثة او زراعة يوم في ارض الزاوية، وهناك شيخ الزاوية ويعلم فتيان القبيلة القراءة والكتابة ويعقد النكاح ويصلي على الجنائز، وفي هذه المرحلة كانت الدّولة العثمانيَّة تدرك أهمّية هذا التنظيم؛ ولذا حرصت على مدِّ الجسور مع قياداته، وعلى تدعيم وشائج الاخوة الإسلاميَّة معه وكانت تبغي من وراء ذلك الحد من نشاط الحركة الوهابيَّة المناوئ لها في الشمال الأفريقيّ، وعندما وقع الغزو الايطالي تحولت إلى العمل على تكوين قوة محاربة من الأهالي، تؤلف نواة لجيش محلي يقوده جماعات من الضباط العثمانيون، ومن ثم تتخذ التدابير لتزويده بالأسلحة والعتاد بطرق مختلفة وقد لجأت لتلك الخطة لأنها كانت مشغولة بحروب البلقان، ولصعوبة المواصلات البَحرِيَّة بين اسطنبول وطرابلس كانت بواخر الدول العثمانيَّة تصل إلى اليونان وميناء آبيرة ومنها إلى كاتاتنا في قبرص ثم مالطة واخيرا إلى طرابلس أو بنغازي[٢١].

وقد نجحت السَّنوسيَّة في برقة وفيما بعد في الصَّحرَاء الكبرى في فض العديد من النزاعات القبليَّة، وتمكَّنت من بسط نفوذها على المتنازعين وإصلاح أمور القبائل، ونتيجة الفوضى طلبت قبيلة زوى في الكَفْرَة من السنوسي أن يؤسس زاوية له فيها، التي اشتهرت بقطاع الطرق، وقد وافقوا على شروط السنوسي بوقف الاغارات والنهب ومهاجمة القوافل التي تمر بأراضيهم، فارسل السنوسي احد الشيوخ وهو سيدي عمر ابو حواء فأسس زاوية الجوف في الكفرة، وبعد انتقال السَّنوسيَّة إلى الكفرة احدثت نقلة على جميع الصعد الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيَّة، فبدَلاً من السلب والنهب أصبَحَ اعضاء قبيلة زوى يمارسون التجارة على امتداد طرق القوافل التّجارِيَّة ابتداءً من برقة ولغاية وداي، فَضلاً عن ذلك اعتنقت بعض القبائل غير المسلمة الطريقة السَّنوسيَّة، ونتيجة لهذا الانتشار الواسع أصبَحَ بوسع التجار السفر بأمان تحت حماية رجال الطريقة السَّنوسيَّة ابتداءً من البحر المتوسط وحتى اعماق الصَّحرَاء الكبرى دون ان تتعرض قوافلهم لأي اعتداءٍ من قطاع الطرق(٢٢).

بدء دخول الإسلام إلى ما يعرف حالياً بدولة مالي باعتناق زعماء مالي له، الذين حرصوا على بناء المساجد، ونشر مفاهيم الدعوة الإسلاميَّة بين الوثنيين، ومن أهمّ المراكز الإسلاميَّة لنشر الدعوة الإسلام في القرن الثاني عشر الميلادي هي مدينة تمبكتو، التي بُنِيَ فيها مسجداًن عريقان لنشر الإسلام هما جانكوبر وسنكري(٢٣).

ونتيجة هذه التطورات وفد على دول وممالك غرب أفريقيّا عددٌ كبيرٌ من العلماء ورجال الدين من مختلف الاقطار الإسلاميَّة للتدريس في مساجد ومدارس تمبكتو وجني ومالي وغيرها من حواضر غرب أفريقيّا، وكان لهم الفضل في نشر الثقافة الإسلاميَّة والعربيَّة، وقد توافد الطلاب من ابناء أفريقيّا إلى معاهد فاس والازهر الشريف والقيروان وتلمسان وغيرها، وقد تشبه الكثير من حكام أفريقيّا بالمسلمين فاجزلوا العطاء لرجال العلم والدين الوافدين، مما أدَّى

إلى قيام نهضةٍ علميَّة حقيقيةٍ أثرت مختلف نواحي الحياة في أفريقيّا وبالأخص غرب أفريقيّا، ونتيجة ذلك شيدت المساجد والمدارس ونشأت طبقةٌ أفريقيّةٌ مثقفةٌ بالثقافة الإسلاميَّة(٢٤).

والمتتبع لسيرة غالبية رجال الدين في تمبكتو، يجد لديهم نوعاً من الصُّوفيَّة المبالغ فيها، مما جعل العديد من بينهم يعتقدون بالغيبيات، ويعملون لحمل الناس على تصديقهم، ومن بين ما ذكره احمد بابا التمبكتي وعبد الرحمن السعدي ومحمود كعت اثناء الحديث عن اساتذتهم هو معرفة الغيب وانطباق احلامهم على الواقع، واستجابة دعائهم لنزول المطر وانشقاق مياه نهر النيجر لأحدهم، وغيرها من المبالغات، وكان المتخرجون على ايديهم يتطبَّعون بتلك الروح في الغالب(٢٥).

وبالمقابل انتشر الإسلام في مدن النيجر التي هي مدينة اغاديس التي تقع بالقرب من سلسلة جبال آيير التي يقطنها الطَّوَارق، وازدهرت النهضة العلميَّة الإسلاميَّة فيها بمجيء العلامة الشيخ عبد الكريم المغيلي إليها في عام ١٤٧٩، وافتتاحه مدرسةً قرآنيَّةً لتعليم الصغار، وأُخرى للكبار لتعليم علوم الدين الإسلاميّ والعربيَّة بين ابناء الطَّوَارق(٢٦).

اما الطَّوَارق الذين يسكنون في الهقار، فلا تتوافر لديهم الوسائل الضرورية لتعلم الدين الإسلاميّ وينقصهم اتقان اللغة العربيَّة التي هي أهمّ هذه الوسائل، بسبب افتقاد الطَّوَارق للائمة والمثقفين في بعض انحاء الصَّحرَاء في بواكير الدعوة الذين يذكرونهم بأحكام القران الكريمة والشريعة الإسلاميَّة، ورجل الدين الذي يشرف على الكتاب الذين يقومون بتحفيظ القران الكريم ويرافق التجمعات في حلِّهم وترحالهم لا يعرف من الدين سوى المبادئ البسيطة(٢٧)، ولكن على الرغم من ذلك نجد بعض رجال الدين الإسلاميّ الذين سعوا في بَثّ الطرق الصُّوفيَّة في أقاليم الطَّوَارق اذ شيدوا الزوايا اثناء القرن التاسع عشر،

وعمل مشايخها على تعليم الصغار القران الكريم[٢٨]، ولما كان الطَّوَارق بدواً رُحَّلاً غير مستقرين ليست لديهم منازل ثابتة، ولكن اينما يشيد الطَّوَارق مخيماتهم فإنهم يخصصون قطعةً من الأرض تبلغ ابعادها (٢٠*٣٠م) باتجاه القبلة ومحاطة بخط من الحجر لأداء فريضة الصلاة اليومية، ولا تسهم في الطقوس الدِّينيَّة[٢٩]، كما سكنوا في بيوت من الحجارة والطين، ومن خوص النخيل والشجر ومن الشعر والوبر، وأكثَر ملحقات المنزل وبعض ادواتهم مصنَّعةٌ من الصوف[٣٠].

تعد قبيلة كنته الشهيرة اول من ادخل (الطريقة القَادِرِيَّة)[٣١]، إلى فيافي الصَّحرَاء وغرب أفريقيّا ولهذه الأسباب عرفت الطريقة الصُّوفيَّة القَادِرِيَّة في غرب أفريقيّا والصَّحرَاء الكبرى بالطريقة القَادِرِيَّة الكنتية، ويعود الفضل الأساس في إعطاء هذه الطريقة الصُّوفيَّة صبغة أفريقيّة صحراوية إلى سيدي المختار الكبير الكنتي[٣٢]، الذي احيا الطريقة وزاد من عدد طلابها ومريديها، كما اتخذت الطريقة من ولاته (Walata)[٣٣] مركزا لها[٣٤]، وقد وصل تأثير الطريقة القَادِرِيَّة إلى مدن وواحات الصَّحرَاء الجزائرية ومنها عين صالح وتوات وتيدكلت، وكان لها العديد من الاتباع بين الطَّوَارق، وهذه الطريقة لها دور مؤثر في مقاومة الغزو الفرنسي للصحراء الكبرى اثناء مدة النصف الثاني من القرن التاسع عشر[٣٥].

تدين الطريقة القَادِرِيَّة في الصَّحرَاء الكبرى وغرب أفريقيّا بالكثير للشيخ المختار، وكان له دور أساس في تأليف الاوراد والاذكار والادعية، وله شأن في الشعر الصوفي اذ نظم العديد من القصائد الدِّينيَّة المتنوعة، وكتب عدة كراريس ضمَّنها وصاياه وفتاويه، واهتم في الاعوام الأخيرة من حياته بتأليف الكتب اذ الَّف اثنين وتسعين كتاباً تناولت شتي فنون العلم والأدب، فكتب في التفسير والحديث وأصول الفقه، وفي النحو والبلاغة والمعاني والتاريخ، وقد زخرت كتبه بأحاديث التوحيد والتصوف ومجاهدة النفس، انشأ الشيخ المختار الكبير مدارس كثيرة في منطقة منحنى نهر النيجر وموريتانيا والصَّحرَاء، وذلك لنشر الإسلام

والطريقة القَادِرِيَّة، وكان يقوم بالإنفاق على طلابه والمعلمين وتزويدهم بالمواد الغذائية، وكانت زوجته الشيخة لال عائشة تقوم بتوزيع المؤن على المدارس، ولم يقتصر نشاط الشيخ المختار على هذا فحسب بل كان يدرس بزاويته في ازواد، ويقوم بجولات دعوية تصل للعامين وهو يطوف البلاد غرب جمهورية النيجر وما بين وادي درعة وتوات في الشمال وما وراء نهري السنغال والنيجر في الجنوب، وكان يرسل ابناءه لنفس الغرض في جهات أُخرى[٣٦].

المبحث الثالث: الطرق الصُّوفيَّة ودورها في صحراء الطَّوَارق

إنّ تاريخ الطرق الصُّوفيَّة في أفريقيّا وبالتحديد في الصَّحرَاء الكبرى حافل بذكريات مرة، اذ حدثت صراعات طويلة بين طريقتي القَادِرِيَّة والتيّجانِيَّة[٣٧]، طوال قرني الثامن عشر والقرن التاسع عشر، وقد ظلَّ الاتجاهين يتبادلان التهم إلى درجة التشكيك في سلامة الاعتقاد الديني، بل شهد القرن التاسع عشر صدامات دامية بين هاتين الطريقتين، تخللها قتل وهدم لمدن وقرى ومدارس كانت مخصصة لتحفيظ القران الكريم[٣٨].

انتشرت الطريقة الصُّوفيَّة التّيجانِيَّة في مختلف انحاء أفريقيّا عن طريق قبيلة ادو علي العريقة الصحراوية في القرن التاسع عشر، وذلك عن طريق تعاملاتهم التّجارِيَّة مع مراكز أفريقيّا الغربية[٣٩]، وقد قامت الطريقة التّيجانِيَّة منذ القرن الثامن عشر بمناهضة الطرق الأُخرى، ولا سيما القَادِرِيَّة، التي تميزت باستخدام القوة في دعم دعوتها، بعكس القَادِرِيَّة التي استخدم الدعوة السلمية، فقد أصبَحَ الانتساب إلى احدى الطريقتين ضرورة عند كل مسلم ولا غنى عن احداهما[٤٠].

كما انتشرت الطريقة الصُّوفيَّة الاشعرية[٤١]، في فيافي الطَّوَارق بعد موت الداعية عبد الله بن ياسين، لكن الطريقة الاشعرية سرعان ما اصيبت بالضعف في بلاد الطَّوَارق، لان أغلبهم على مذهب الأمّام مالك، وطبيعة هذا المذهب تبتعد عن طرق وأساليب اصحاب علم الكلام والمنطق، لكون قبائل الطَّوَارق بدوا رحلا لا يستطيعون تفهم الاشعرية التي تحتاج إلى أمور فكرية واستدراكية[٤٢].

أما المذهب الشيعي فقد انتشر بين قبائل الطَّوَارق في عهد دولة بني زيري (٩٧١-١١٥٢)، والذي أسهَمَ بانتشار هذا المذهب أنَّ الدّولة الزيرية من صنهاجة، ويشتركون مع قبائل الطَّوَارق في النسب، ومن عادات التشيع المتبقية عند الطَّوَارق هو الاحتفال بيوم عاشوراء المصادف (العاشر من محرم) الذي عدوه أحد الأعياد الدِّينيَّة، إذ يصنعون فيه كمياتٍ معينةً من الطعام ويدعى إليها

الناس، فيأكلون ويشربون ويتلون آيات من القران الكريم وبعض المدائح النبويَّة وسيرة ائمة اهل البيت(عليهم السلام)[٤٣]، ويستمر الاحتفال عادة بيوم عاشوراء ثلاثة ايام، ويعرف عند الطَّوَارق (سبيب او سبيبا) ويتزين فيه الرجال والنساء وبيوتهم بأكاليل من سعف النخيل، ويؤدون فيه رقصات من الفلكلور الشعبي تتخلله بعض الاغاني التراثية الشعبية، ويقومون فيه بزيارة قبور موتاهم[٤٤].

وبعد عودة الطَّوَارق من قبور موتاهم يستمر حفلهم بالرقص ونغمات الموسيقى حتى أواخر الليل ويختلف الرقص في اليوم الأول عنه في اليوم الثاني والثالث الذي تقوم به جماعة تتزين بالملابس الأنيقة وتقوم برقصات معبرة، وتقام إلى جنب تلك الاحتفالات المعروفة ملتقيات لشباب وفتيات قبائل الطَّوَارق التي تقوم بأنواع الرقص والغناء والعزف على الة الربابة (امزاد)، وكلما ازداد المعجبون بإحدى الفتيات تزداد مكانتها عند اسرتها[٤٥]، وللعلم والايضاح أنَّ طريقة زيارتهم القبور بهذا الشكل من رقصٍ وغناءٍ وموسيقى ودبكات، وأحياءهم ليوم عاشوراء هي غير موجودةٍ أصلا لدى الشيعة، ولكن من المحتمل هذه التفاصيل هي جزء من التراث الشعبي الفولكلوري لدى الطَّوَارق، الذي تمازج ببعض ما موجود لدى الشيعة، من كثرة السخاء في ايام عاشوراء.

كثيراً ما كان يستعين الطَّوَارق بأرواح الموتى، ويلوذون بهم وقت الحاجة والضيق بل ويسألون عن بعض الأمّور المختصة بالغيب في بعض الاحيان، ولوحظ في القرن التاسع عشر أنَّ نساء قبائل الطَّوَارق في غدامس يرتدين أجمل الألبسة ثم يذهبن إلى بعض القبور المشهورة في المنطقة، وينادين الأرواح الساكنة بين هذه القبور ويطلبن حاجاتهن الخاصة مثل طلب الزواج او عودة حبيب غائب، كل هذه العقائد عند الطَّوَارق هي جزء من رواسب عقيدة عبادة الاسلاف التي تنتشر في أغلب بلدان أفريقيّا سابقا[٤٦]، كما ان من عاداتهم الدِّينيَّة اذا مر شخص ما بجانب احد القبور في الصَّحرَاء فإنه يقوم بعادة الطواف عليه سبع مرات ويقرأ الفاتحة عليه، وفي العادة تعرف بعض الأمّاكن والواحات في

الصَّحرَاء بأسماء الموتى[٤٧].

من جانب آخر وفي العصر الحديث وصلت عمليات التبشير المسيحيّ إلى مناطق الطَّوَارق وواحاتهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، اذ بالغ القس شارل دي فوكو(Charles de Foucauld)[٤٨] في معاملاته الطيبة والودودة، اذ اقترب من قبائل الطَّوَارق وعمل على تعليمهم بعض الحرف البدويَّة، وحثهم على العمل الجاد مقدما لهم بعض المساعدات المادية والمعنوية، وكان هدفه الأساس أن يحقق أغراضه الخاصة في تحول الطَّوَارق نحو الديانة المسيحيّة، لكن كل محاولاته باءت بالفشل الذريع، حتى انه صرح بنفسه في احد الايام بعدم تمكنه من تنصير اي شخص من الطَّوَارق، او الأفارقة وحتى المقربين منه[٤٩].

ولا يخفى دور الطرق الصُّوفيَّة في نشر مبادئ الإسلام بين الطَّوَارق وانتشرت طريقة بين طوارق النيجر هي الطريقة الصُّوفيَّة (الشاذلية)[٥٠]، من الأمّور الفاعلة التي أُدَّتها الطرق الصُّوفيَّة هو شراء العبيد وتلقينهم مبادئ الإسلام ثم عتقهم وارسالهم كدعاة لنشر الدعوة في مناطق مختلفة[٥١].

ونظراً لان قبائل الطَّوَارق كانوا لا يزالون يحتفظون ببعض السلوكيات والعادات الوَثَنِيَّة المتوارثة عن اجدادهم فقد أدَّى إلى انعكاس هذا الشيء على التصوف[٥٢] عندهم اذ ان أغلب التصوف الموجود عندهم انحرف عن مساره وانتشر التصوف البدعي بدَلاً عن تعاليم التصوف السني[٥٣].

من يتصفح اخلاق وسلوكيات المتصوف العملي، يجد أنَّ لهم دوراً مهمَّاً في الحث على التمسك بمبادئ الإسلام النبيلة والسامية واتباع الفضيلة، فكانوا قدوةً طيبةً يحتذي بهم أفراد مجتمعهم، والقدوة هي الوسيلة التي يتمكن بواسطتها المصلح الاجتماعيّ من تبليغ رسالته، ولذلك كانوا قدوة حسنة لجماهير الشعب في الزهد وترك زخارف الحياة، وعدم الانغماس في اللهو وملذات الدنيا، ولا يعني الزهد هنا عند رجال الصُّوفيَّة الحرمان مما احله الله، لكنه يعني عدم الانغماس

في الماديات والملذات، ولذلك كان الزهد لديهم هو حبس النفس الإنسانية عن الملذات وامساكها عنها، فالزهد في حقيقته هو صرف رغبة القلب إلى الله تعالى، وتعلق الهمة به والاشتغال به عن لهو اي شيء[٥٤].

من العادات الوَثَنِيَّة التي انتشرت بين الطَّوَارق في غابر الازمان هي (الطوطمية)[٥٥]، والتي لاتزال لديهم رغم اعتناقهم الإسلام في بواكير الدعوة، والطَّوَارق يمتنعون عن اكل الطيور والاسماك لاعتقادهم أن هذه الاشياء اخوات لأمهاتهم، وهذا يرجع إلى نظام النسب الأمّومي؛ لأنَّ الطيور والاسماك حيوانات طوطمية[٥٦]، جاءت هذه الآراء ضعيفة وانساق متبنوها وراء المصادر التي لم تفقه تاريخ الصَّحرَاء الكبرى؛ لان الطَّوَارق لم يعبدوا الاسلاف، وممكن وقع الخلط لدى المؤرخين بين الطَّوَارق والزنوج لان هذه العادات الوَثَنِيَّة تنتشر بين القبائل الزِّنجيَّة جنوب الصَّحرَاء، والمتتبع لمناطق الطَّوَارق الأساسية يجدها متنورة بالمدارس القرآنية والمساجد والزوايا التي أسهَمَت في اثراء الحياة الثَّقافِيّة، وظهرت شخصيات دِينيَّة مرموقة، ونلاحظ ثراء مكتبات الجوامع والزوايا والمكتبات الخاصة بالمؤلفات والمخطوطات الدِّينيَّة واللغوية، ولا ننسى الدَّور الريادي للطوارق في طريق الحج واطلاعهم بصورة مباشرة على تعاليم الدين الإسلام الحنيف.

وبالمجمل يعد إسلام الطَّوَارق إسلاما بسيطا في حدود أساسات القواعد الشرعية، والمتمثلة بنطق الشهادَّتين والخوف من عقاب الله تعالى وسخطه والاعتراف له ولرسوله بواجب الطاعة والولاء، وبعيدَاً عن أغلب مظاهر التنظير الفكريّ والتعقيد، فإن معرفتهم تبقى محدودة بأحكام ومبادئ الدين الإسلاميّ التي تقتصر على تلاوة القران الكريم الذي يتخذونه لكتابة التعويذات عند البعض[٥٧]، فهم في بواكير الدعوة لا يتقنون العربيَّة لغة القران الكريم، كما انهم لا يصومون رمضان كاملا، وسبب عدم صيامهم هو طبيعة البيئة الصحراوية القاسية التي عاشوا فيها، فَضلاً عن فقرهم الشديد وبساطة معيشتهم، وقلة

وعيهم ومعرفتهم ببعض الأمّور والمعتقدات والفرائض الدِّينيَّة، ويقول البعض منهم كيف نصوم رمضان الكريم، ونحن صائمون الدهر كله وهذا من الأدلَّة على فقرهم[٥٨]، ومن النادر صيام رمضان كاملًا، الا لدى فئة قليلة من المرابطين، ذلك ان أغلب الملتزمين دِينيًّاً من الطَّوَارق يكتفون بصيام اليومين الأول والأخير من كل شهر رمضان[٥٩]، ومن الأسباب الُأخرى لعدم صيامهم هو ادمانهم على التدخين، وبذلك يفضلون في هذا الشهر حيلة السفر على الصيام[٦٠].

وما يمكننا قوله أنَّ هذا التقليل من شأنهم نوعٌ من أنواع التشويه ليس له اي اساس من الصحة وهم ظلَّموا بشكل كبير، وان وجدت هكذا طقوس فهي حالات فردية وفي حدود ضيقة وموجودة لدى أغلب الشعوب المسلمة، اذ لا يمكن تعميم الحالات الفردية على شريحة واسعة من المجتمع، علمًا ان الطَّوَارق لهم دور أساس في ادخال الإسلام إلى اعماق الصَّحرَاء الكبرى، وبالأخص دورهم المهم والمؤثر في زمن دولة المرابطين والادارسة، وهم الذين اسسوا مدينة تمبكتو الحاضرة الإسلاميَّة الكبيرة، وما يمكن قوله انهم حاولوا التقليل من شأن تدين الطَّوَارق في المنطقة، ونحن نعلم هنالك العديد من رجال الدين الطَّوَارق الذين نبغوا في مجالات شتى في أمور الشريعة والعقائد، وجاءت الدراسة مع الآراء البناءة التي ترتقي بقيمة الإنسان لان الإنسان قيمة عليا، والطَّوَارق في الاعم الأغلب مسلمون عاديون على مذهب الأمّام مالك (رضي الله عنه)، ولرمضان خصوصية لدى الطَّوَارق مثلما تفعل أغلب الشعوب المسلمة فهم يقومون بتغيير اثاث المنزل ويفرشونه بالحصيرة ويجهزون بيوتهم استعداداً للصلاة وتلاوة القران، لكن يؤشر عليهم انهم لم يدونوا تاريخهم مما فسح المجال للمستعمر يكتب ما يشاء.

ولا شك أنّ إسلامهم قبل رسوخه ظلَّ بحكم خصوصيته التاريخية والثَّقافِيّة، اقرب ما يكون إلى تلك المجتمعات الإنسانية التقليدية التي تفشت فيها مظاهر الخرافات والاساطير والاخبار العجيبة واللافتة للنظر، وقد اتخذ في

الكثير من الاحيان شكل الاعتقاد في وجود الاشياء الغيبية، وغير المرئية التي كان يعرفها الناس بأسمائها ولا يعرفون شكلها، كالاعتقاد في وجود الأمّور الخارقة مثل الأرواح والجن والعفاريت والمردة والغول[٦١]، الواقع ان الإسلام وان كان قد طبع التاريخ الأفريقيّ والحضارة الأفريقيّة بطابعه المميز فانه كان مع ذلك نموذجا أفريقيّا، فسكان القرى والبوادي لم يكونوا يعرفون الا النطق بآيات القرآن دون فقه لمعنى ما يحركون به السنتهم وكانوا يمسكون في رمضان من الفجر إلى غروب الشمس، ويتقربون بالذبائح والقرابين والنذر، ولكنهم إلى جانب ذلك كانوا يعبدون قوى الطبيعة ويقدسون الاصنام والايقونات، ويؤمنون بأقوال الكهان والسحرة [٦٢] يمكن تعليل هذه الانحرافات الدِّينيَّة في بواكير الدعوة الإسلاميَّة لقلَّة وجود العلماء والفقهاء من الطَّوَارق، وبالأخص أنهم يجهلون القراءة والكتابة العربيَّة، وجل تاريخهم هو تاريخ شفوي يتناقل عبر الاجيال، مما أدَّى إلى شيوع الجهل وانتشار الإسلام بينهم بصبغة بدوية أفريقيّة، حاولت اقلام السلطة الاستعمارية النيل من ثقافة شعوب أفريقيّا، ووصف الطب الشعبي بالسحر والشعوذة الهدف من هذا الوصف تحطيم الشخصية الأفريقيّة بطرق متعددة والانتقاص من الجنس الأفريقيّ بسبب النظرة المتعالية للمستعمر الاجنبي، كل ذلك الهدف منه نشر الثقافة الاوربية.

ومن عاداتهم الإسلاميَّة هو المآتم التي تعد احدى الظواهر الاجتماعيّة عند الطَّوَارق، اذ يقومون بدفن رفاة موتاهم على الطريقة الإسلاميَّة، فبعد الغسل والتكفين يتم الصلاة عليه ثم دفنه، وتتم قراءة القران على روح الميت[٦٣]، كما لا يجوز لديهم اطلاق لقب شيخ على اي شخص مالم تكن له مواصفات ثلاث، اذ يجب ان تكون له صفة الأمّام اولا، والزعامة الروحية الدِّينيَّة والقبليَّة ثانيا، وان يكون حاجا وزار بيت الله الحرام ثالثا[٦٤].

من جانب أخر فأن احتفالاتهم الدِّينيَّة بمناسبة العيد تقتصر على قراءة الدعاء والذكر الكريم والتسبيح وتبادل التهاني، وقد يتم اختصارا الاستغناء

حتى عن خطبة صلاة العيد اذا لا يوجد من يحسن القاءها، فيكتفي الأشخاص المحتفون بما يتوفر لديهم من الطعام، او الحلويات في العيد من دون اسراف او تبذير، ومن دون اشتراط الذكر الزاما في الاضحية في عيد الاضحى[٦٥].

اذن ما يمكننا استنتاجه ان هذا الإسلام المنتشر في الصَّحرَاء الكبرى هو عبارة عن مزيج تاريخي من إسلام الفاتحين من الشمال، مع اثر محدود من إسلام الصَّحرَاء، فَضلاً عن اثر كبير وواسع تولاه الدعاة والتجار ورجال الطرق الصُّوفيَّة فأوصلوه إلى مختلف نواحي الصَّحرَاء، وقد تم توظيف الرصيد الثَّقافِيّ للمجتمعات المحلية بهدف ربطها بمبادئ الإسلام، وذلك من أجل التدرج بسهولة لاستساغة تعاليم الإسلام، والدليل ان بعض الطَّوَارق ادعى الانتساب لإل البيت (عليهم السلام) او احد القبائل العربيَّة الرفيعة من أجل الحصول على مرتبة اجتماعيّة رفيعة، وقد استوعب الإسلام العديد من الشعوب بحكم رسالته العالمية .

الخاتمة:

يمكن اجمال ما توصلت إليه الدراسة، وما تركه الإسلام في نفوس الأهالي بما يأتي :

١- بساطة تعاليم الإسلام، وتعامله مع الناس دون تمييز عنصري؛ لأنَّ الإسلام هو دين الفطرة، فهو لا يتطلب من متبعيه أيَّة أمور معقدة ولا يأتي بأفكارٍ بعيدةٍ عن التصور ولا يفرض عليهم قيوداً لا يستطيعون القيام بها، ولكونه نظاماً اجتماعيّاً يرسخ المساواة أسهَمَ في انتشاره بين قبائل الطَّوَارق، اذ ان العبيد والطبقات المسحوقة تنفست الحرية في ظلَّ الإسلام، الذي وصف بكونه أكثَر الاديان ديمقراطية.

٢- الإسلام جاء متفقا مع اسلوب الحياة التقليدية الأفريقيّة.

٣- أسهَمَ الإسلام في القضاء تدريجيا على العادات والتقاليد البالية لدى الطَّوَارق، وأحلَّ الأمّور الإيجابية منها: إكرام الضيف وحب الطهارة والتأكيد على النظافة وتحريم الخمر والميسر.

٤- نفور الطَّوَارق من المستعمر وأساليبه القاسية، دفعهم للتشبُّثّ بقادة الإسلام، وبالأخص في القرن التاسع عشر، وذلك لوقوفه بالنِّد من القوى الاستعمارية.

٥- حافظ الإسلام على عفة المرأة وصانها من الاختلاط غير المشروع والتأكيد على العفة، وحدَّد نوع العلاقة بين الرجل والمرأة.

٦- من عوامل انتشار الإسلام هو هجرة بعض قبائل الطَّوَارق وقيامها بالإغارة على قبائل زنجية مجاورة، مما رسخ الاتصال والاحتكاك المستمر بين شعوب شمال الصَّحرَاء وجنوبها.

٧- صحَّح الإسلام بعض العادات الأمّيسية، وهي عادة الانتساب إلى الأمّ بدَلاً من الأب والوراثة من ناحية الأمّ وإعطاء دورٍ أساس للخال.

٨- يستحسن عدم الوقوف كثيرا على الحالات الشاذة عند بعض الطَّوَارق

من البدع والخرافات والسحر والشعوذة والمخالفات الدِّينيَّة، لأنها وان عدت فهي حالات فردية.

٩- أسهَمَ الإسلام في القضاء على التقاليد الوحشية والعقائد الفاسدة التي كانت شائعة بين الأهالي، فحلَّ مكانها مجتمعٌ حضاريٌّ جديدٌ محل المجتمع البدائي القديم.

١٠- فشل الاستعمار الذي غزا أفريقيّا ان يقتلع من قلوب الأهالي الروح الدِّينيَّة الأصلية، على الرغم من الجهود الحثيثة التي كان يبذلها المبشرون المسيح.

الهوامش

١) عبد الرحمن بن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، ج٦، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، ص١٤٢؛ قاسم الزهيري، الممالك الإسلاميَّة القديمة في أفريقيّا السوداء، دعوة الحق(مجلة)، العدد٦، المغرب، اذار ١٩٦٢، ص٦٠-٦١؛ محمد يوسف مقلد، موريتانيا الحديثة غابرها حاضرها او العرب البيض في أفريقيّا السوداء وتاريخهم أصلهم عروبتهم احوالهم، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠، ص٥٦.

٢) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمّير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربيَّة، بيروت، ١٩٦٤، ص٣٥ـ٤٠.

٣) الشاوي اللالة البكاي اماهين، الطَّوَارق عبر العصور، تحقيق إصلاح محمد البخاري حمودة، دار الكتب الوطنيَّة، بنغازي، ٢٠٠٧، ص١٤٨-١٤٩؛ Attilio Gaudio، Les Civilisations Du Sahara، Biblio-théque Marabout Université، Paris، 1967,P.332.

٤) ابراهيم احمد بلولة، الهجرات والقوافل التّجارِيَّة عبر الصَّحرَاء الكبرى واثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلاميَّة، دراسات دعوية (مجلة)، العدد٩، الخرطوم، شباط ٢٠٠٥، ص٣٣٢؛ دولت صادق، شرقي أفريقيّا دراسة في جغرافية الإسلام، المجلد الرابع، مركز البحوث جامعة الأمّام محمد بن سعود الإسلاميَّة، السعودية، ١٩٨٤، ص١٣.

٥) ابو عمرو خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ط٢، تحقيق اكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق – بيروت، ١٣٩٧ه، ص٢٠٥.

٦) عبد الله عبد الماجد ابراهيم، الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب أفريقيّا واستوطنت سودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية، دار الحاوي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨، ص١١؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر، القاهرة، د.ت، ص٦٢.

٧) عصمت هانم عبد اللطيف علي دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيّا مع نشر وتحقيق رحلة ابي بكر المعافيري (٤٣٠-٥١٥ه -١٠٣٨-١١٢١م)، رسالة ماجستير منشورة مقدمة إلى معهد البحوث والدراسات الأفريقيّة، جامعة القاهرة، ١٩٧٠، ص١٣-١٤.

٨) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٧، ص٧٣-٨٠.

٩) عبد الرحمن ميغا، الحركة العلميَّة في مدينة تنبكت خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، دار الحديث الحسنية (مجلة)، العدد١٤، المغرب، ١٩٩٧، ص٣٣٢.

١٠) عبد الرحمن زكي، حركة الإصلاح في غرب أفريقيّا، معهد الدراسات الإسلاميَّة في مدريد (مجلة)، مجلد١٣، مدريد، ١٩٦٥، ص١٤٠-١٤١؛ عصمت عبد اللطيف دندش، الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة في غرب أفريقيّا السودان في عهد المرابطين، دعوة الحق (مجلة)، العدد ٢٥٨، المغرب، اوت ١٩٨٦، ص٧١.

١١) عصمت هانم عبد اللطيف علي دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيّا، ص١٥١.

١٢) اللمتوني تيلوتان بن تيكلان: هو اول رئيس يتولى الحكم في الصَّحرَاء،

الذي ينتمي إلى قبيلة لمتونة، وكان أكثَر من عشرين ملكا يدفعون له الجزية، توفي عام ٨٣٧م . ينظر : تاديوز ليفسكي، دور الصَّحرَاء الكبرى واهل الصَّحرَاء في العلاقات بين الشمال والجنوب، بحث منشور في كتاب تاريخ أفريقيّا العام، المجلد الثالث، ط٢، منشورات إليونسكو، لبنان، ١٩٩٩، ص٣٤٣.

١٣) عبد الرحمن زكي، تاريخ الدّولة الإسلاميَّة السودانية بأفريقيّا الغربية، المؤسسة العربيَّة الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦١، ص٥٥-٨٢ ؛ بدري محمد فهد، الصلات الثَّقافِيّة بين العرب وأفريقيّا من خلال الحركات الشعبية، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٧-٣٧.

١٤) وداد نصر محمد السيد الطوخي، مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد البحوث والدراسات الأفريقيّة، جامعة القاهرة، ١٩٨٦، ص٣-١٣؛ حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصَّحرَاء الكبرى، معهد الدراسات العربيَّة العالية، القاهرة، ١٩٥٧، ص٥١.

١٥) عبد الرحمن بن ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٣.

١٦) زكية بالناصر القعود، دور القوافل التّجارِيَّة في التفاعل الثَّقافِيّ بين ليبيا والمغرب العربيّ وما وراء الصَّحرَاء والسودان في العصر الوسيط، افاق الثقافة والتراث (مجلة)، العدد٨٦، دبي، حزيران ٢٠١٤، ص١٣٨.

١٧) الطرق الصُّوفيَّة هي مجموعة من المتصوفين الذين يتبعون في عبادتهم ورياضاتهم ومجاهداتهم اسلوبا واحدا يضعه لهم شيخ من شيوخ التصوف ويتبعونه فيه وينسبون إليه، والأصل ان التصوف والصوفي شيء واحد فالمتصوف صوفي اي رجل متقشف زاهد يميل بنفسه وروحه إلى انفاق حياته في التعبد لله وعمل الطاعات للاستزادة من رضى الله والقرب منه، ويذهب المتصوفون إلى انهم يصلون بذلك إلى حالات نفسية ووجديه تجعلهم يحسون بما يسمى الاشراق

او الوصول. ينظر: حسين مؤنس، الطرق الصُّوفيَّة واثرها في نشر الإسلام في الصَّحرَاء الكبرى، معهد الدراسات الإسلاميَّة في مدريد(مجلة)، العدد٢١، مدريد، ١٩٨١، ص٨٢.

١٨) اسماعيل العربيّ، حاضر الدول الإسلاميَّة في القارة الأفريقيّة، المؤسسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص٢٤٤؛ بطل شعبان محمد غرياني، العامة في دولة صنغي (٨٦٩-١٠٠٠هـ/ ١٤٦٤-١٥٩١)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد البحوث والدراسات الأفريقيّة، جامعة القاهرة، ٢٠١١، ص٦.

١٩) السَّنوسيَّة: هي دعوة إصلاحية سميت نسبة إلى محمد بن علي السنوسي (١٧٨٧-١٨٥٩)، تحولت هذه الدعوة، بفضل خبرة زعمائها، إلى امارة إسلامية جمعت شتات القبائل المتنافرة في الصَّحرَاء الأفريقيّة، من وادي النيل وحتى شواطئ المحيط الاطلسي، تصدت هذه الطريقة للاستعمار الفرنسي الضاري بوسائلها المحدودة والبسيطة وايمان فأدَّتها بانتصار المثل والقيم الإسلاميَّة، بيد ان أهمّ ما حققته هو انها ناهضت الدّولة العثمانيَّة في هذه الاصقاع، على الرغم من تقاعس بعض فأدَّتها وانفة بعضهم وشعورهم بأن هذه الصَّحرَاء القاحلة لا تساوي ما على الدّولة العثمانيَّة ان تبذله من رجال واموال وسلاح وعتاد في سبيل اخضاعها، متناسين ان فرنسا التي اتت من وراء البحار من العالم الأكثَر تمدنا، وقدمت دماء رجالها وسلاحها كعربون، ودعم لدبلوماسيتها التي لا تعرف الكلل والملل، في سبيل السيطرة على هذه المناطق . ينظر: بدري محمد فهد، المصدر السابق، ص١٠٠؛ جاسم محمد شطب العبيدي، المواقف العثمانيَّة ازاء الدعوة السَّنوسيَّة ١٨٤٠-١٩١١، جامعة كربلاء العلميَّة (مجلة) العدد٢، كربلاء، ٢٠١٥، ص١٧٥.

٢٠) عبد الجليل التميمي، الروابط الثَّقافِيّة المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب أفريقيّا خلال العصر الحديث، التاريخية المغربية(مجلة)، العدد٧، تونس،

١٩٨١، ص٢٥.

٢١) محمد عيسى صالحية، صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا وثائق من تاريخ السيد احمد الشريف السنوسي ١٢٩٢-١٣٥٠ هـ- ١٨٧٥-١٩٣٢م، حوليات كلية الآداب (مجلة)، العدد١، الكويت، ١٩٨٠، ص٧-٨.

٢٢) احمد محمد حسنين باشا، في صحراء ليبيا، تحرير، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعيّة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٧٧-٧٨.

٢٣) حسن جلال الدين محمد علي، مملكة مالي الإسلاميَّة وأهمّ مظاهر الحضارة بها، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد البحوث والدراسات الأفريقيّة، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، ص١٢٤؛ صادق يلي، مالي والسنوات العجاف، العربيّ (مجلة)، العدد٣٧٠، الكويت، ايلول ١٩٨٩، ص٨٢-٨٣.

٢٤) شوقي عطا الله الجمل، الحضارة الإسلاميَّة العربيَّة في غرب أفريقيّا سماتها وعوامل انتشارها، الدراسات الأفريقيّة(مجلة)، العدد ٨، القاهرة، ١٩٧٩، ص٤٧-٤٨.

٢٥) عبد القادر زبادية، ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر، التاريخية المغربية (مجلة)، العدد ١-٨، تونس، كانون الثاني١٩٧٧، ص٣٣-٣٤.

٢٦) علي يعقوب، جهود العلمَاء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلاميَّة والعربيَّة غرب أفريقيّا مِثَالاً، قراءات أفريقيّة (مجلة)، العدد٣الخرطوم، ديسمبر ٢٠٠٨، ص٩- ١٨.

٢٧) اسماعيل العربيّ، المصدر السابق، ص١٦٤.

28) Henri Lhote، Les Touaregs Du Hoggar(Ahaggar)، Editions Payot، Paris، 1955,PP.349-350; Henri Duveyrier،

Les Touaregs Du Nord، Editeur Challamel Ainé Libraire Ēditeur، Paris، 1864، PP.413.

٢٩) M .H. Lelonge، Le Sahara Aux Cent Visage، Editions Alsatia، Paris، 1945، P.139؛ عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي دراسات اجتماعيّة وانتروبولوجية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩، ص١٠٤.

٣٠) عصمت هانم عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيّا، ص٣٥-٣٦.

٣١) الطريقة القَادِرِيَّة : تنسب هذه الطريقة الصُّوفيَّة إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني المتوفي ببغداد عام ١١٦٥، والذي وصف في حينه بانه شيخ العصر وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ ورجال الدين وسيد اهل الطريقة، وصاحب الكرامات والعلوم والمعارف، كان يقوم بالتدريس في مدرسته الشهيرة التي دفن بها من بعد، فأصبَحَ ذائع الصيت وعد شيخ الحنابلة وامامهم وكان ظهوره صوفيا معروفا بعد ٥٢٠هـ، الف جملة من الكتب منها (الغنية لطالبي طريق الحق، الفتح الرباني، فتوح الغيب، الفيوضات الربانية). ينظر : بدري محمد فهد، المصدر السابق، ص٩٧-٩٨.

٣٢) المختار الكبير الكنتي (١٧٢٩-١٨١١): ولد في ازواد، امضى حياته مترحلا في طلب العلم والمعرفة، وقد ظهر نبوغه وتفوقه في وقت مبكر من حياته، وعندما بلغ العشرين أصبَحَ عالما يشار إليه بالبنان، وسرعان ما وفدت عليه مجاميع الطلبة لاسيما، من الأفارقة فانتشر خبره في بلاد الصَّحرَاء وغرب أفريقيّا، وكان المختار الكبير ينفق ما بحوزته من ارباح تجارة القوافل على تلاميذه، في العام ١٧٣٥، انشأ زاويته الشهيرة في إقليم ازواد التي أصبَحَت مدرسة هامة لطلاب العلم. ينظر: عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي ودوره في نشر الإسلام والطريقة القَادِرِيَّة

في الصَّحرَاء وغرب أفريقيّا، البحوث التاريخية (مجلة)، العدد ٢، طرابلس، تموز ١٩٨١، ص٣١٧-٣١٨.

٣٣) ولاته: عاصمة لمملكة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة تمبكتو، وتعني هذه الكلمة الأرض المرتفعة وذلك كناية او وصف عن الطبيعة المرتفعة للمنطقة، في مقابل مناطق الحوض المنخفضة المجاورة، كان الصنغاي يسمونها (بيرُ)، كما ذكرها ابن بطوطة باسم إيوالاتن . ينظر: جاك ووديس، جذور الثورة الأفريقيّة، ترجمة احمد فؤاد بليع، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١، ص٥٦٧.

٣٤) بدري محمد فهد، المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨؛ عزيز بطران، المصدر السابق، ص٣١٧-٣١٨.

٣٥) عبد العزيز شهبي، سياسة الاستعمار الفرنسي تجاه الطرق الصُّوفيَّة بالجزائر في القرن ١٩م، المؤرخ العربيّ (مجلة)، العدد١٧، مصر، ٢٠٠٧، ص٢٥٩-٢٦٠.

٣٦) عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الإسلام والطريقة القَادِرِيَّة في الصَّحرَاء وغرب أفريقيّا، البحوث التاريخية (مجلة)، العدد ٢، طرابلس، تموز ١٩٨١، ص٣١٨-٣١٩.

٣٧) التّجانِيَّة (التّجانِيَّة): طريقة تنسب إلى الشيخ احمد بن محمد المختار الجزائري (١٧٣٧-١٨١٥) المولود في مدينة عين ماضي بالجزائر، وبها نشأ وتفقه في دراسة الدين الحنيف في شتي المراكز الدِّينيَّة في مصر والمشرق، وبعد عودته إلى الجزائر آخذ بتدريس علم الحديث وتفسير القران في مدينة تلمسان وكانت له استنباطات وتحليلات عميقة واصيلة من القران الكريم والسنة النبويَّة نشر بعضها في كتاب جواهر المعاني الذي جمعة زميله الشيخ حرازم، وكتاب الجامع للشيخ سيدي بن محمد المشري، وفي هذا الوقت اسس طريقته الصُّوفيَّة التي تعد فرعا من الطريقة الخلوتية . ينظر: بدري محمد فهد، المصدر السابق، ص١٠٩.

٣٨) صادق يلي، المصدر السابق، ص٨٣-٨٤.

٣٩) عبد الواحد اكمير، الحضور المغاربي الاوربي في أفريقيّا الغربية، بحث منشور في كتاب العرب والدائرة الأفريقيّة، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٣١-١٣٢.

٤٠) عبد الرحمن زكي، حركة الإصلاح الديني في غرب أفريقيّا، معهد الدراسات الإسلاميَّة في مدريد (مجلة)، مجلد١٣، اسبانيا، ١٩٦٥، ص١٤١-١٤٢.

٤١) الطريقة الاشعرية: تنسب إلى الشيخ ابي حسن الاشعري (٨٧٤- ٩١٥م) ولد بمدينة البصرة وسكن بغداد اسس المدرسة الاشعرية، وهي احدى طرق علم الكلام الشهيرة، تعتمد على العقل والاستدلال المنطقي في استنباط احكامها . ينظر: اركان علي حسن، العقل والاستدلال به عند اصحاب المدرسة الاشعرية، الاستاذ (مجلة)، العدد٢١٠، بغداد، ٢٠١٤، ص٣٥٣-٣٦٩.

٤٢) حماه الله ولد السالم، الأصول الفكريَّة لحركة المرابطين اضواء جديدة حول الفكر الإسلاميّ بالمغرب والصَّحرَاء الكبرى، الجامعة المغاربية (مجلة)، العدد٩، طرابلس، ٢٠١٠، ص١٠٧-١٠٨؛ الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، ٢٠٠٧، ص٣٧٧-٣٩٢.

٤٣) الحسن السائح، الحضارة الإسلاميَّة في المغرب، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، ١٩٨٦، ص١٣٨.

٤٤) تيسير بن موسى، المجتمع العربيّ الليبي في العهد العثماني دراسة تاريخية اجتماعيّة، الدار العربيَّة للكتاب، طرابلس، ١٩٨٨، ص٤٨.

٤٥) عبد القادر جامي، رحلة من طرابلس الغرب إلى الصَّحرَاء الكبرى، ترجمة محمد الاسطي، دار المصراتي، طرابلس، ١٩٧٤، ص١٥٢-١٨٤.

٤٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ط٤، دار الساقي،

بيروت، ٢٠٠١، ص٤٧؛ عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من اقدم العصور حتى الفتح الإسلاميّ، ج١، دار صادر، بيروت، ١٩٧١، ص١٣٠؛ مصطفى الأنصاري، الاحرار الملثمون الطَّوَارق بين الارهاب والثورة والحب، دار مدارك للنشر، بيروت، ٢٠١١، ص١٥٥.

٤٧) نجمي رجب ضياف، مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، دار الكتب الوطنيَّة، بنغازي، ١٩٩٩، ص٢٦٤.

٤٨) شارل دي فوكو(١٨٥٨-١٩١٦) : ولد في مدينة سترامبورغ في فرنسا، دخل كلية سان سير العسكريّة الشهيرة، وتخرَّج بها في عام ١٨٧٨، عمل اول الأمّر كضابط في الجيش الفرنسي بالجزائر، نتيجة لسلوكه غير السوي طرد من سلك الجيش، فعمل في التبشير الديني في عدة بلدان (المغرب الأقصى، فلسطين، سوريا) ثم استقر في نهاية المطاف في صحراء الجزائر، توجه إلى الهقار وبنى بها كنيسة في عام ١٩٠٥، وجعلها نواة للتبشير الديني، وقد اندمج مع سكان المنطقة وقضى معظم اوقاته في التقرب من قبائل الطَّوَارق ليتعلم منهم اللهجة الطارقية الاصيلة، فانجز معجما من اللغتين الفرنسية إلى الطارقية وبالعكس، حاول التقرب منهم وتحبيبهم لمبادئ المسيحيّة، استغل المجاعة المستشرية في تمنراست لأهدافه الخاصة بتوزيع الاغذية من القمح والشعير على النساء والاطفال، قتل بأمر من الحركة السَّنوسيَّة . للمزيد من المعلومات ينظر: عميراوي احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصَّحرَاء الجزائرية ١٨٤٤-١٩١٦، دار الهدى، الجزائر، ٢٠٠٩، ص١١١-١٢٥.

49) Robert Hérisson، Avec Le De Foucauld Et General Laperrine Carnet D,Unsaharien (1909-1911)، Librairie Plon، Paris، 1946، P.187; Leon Lehuraux، Au Sahara Avec Le Pére De Foucauld، Baconnier، Paris، 1944، PP.97-126.

٥٠) الشاذلية: طريقة تنسب إلى الشيخ ابي الحسن الشاذلي، اعاد انتسابه في بعض مصنفاته إلى علي بن ابي طالب (ع)، يؤمن اصحابها بجملة من الافكار والمعتقدات الصُّوفيَّة، ومركز الطريقة الشاذلية الصُّوفيَّة في مصر. ينظر: مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، ج١، ط٤، دار الندوة للطباعة، الرياض، ١٤٢٠ه، ص٢٧٥.

٥١) هاشم محمد الأمّين البدري، التحديات التي واجهت الإسلام في غرب أفريقيّا(٦٤٨-١٩٣٠)، دراسات أفريقيّة(مجلة)، العدد٥٥، الخرطوم، ٣٠ حزيران ٢٠١٦، ص١٥٤.

٥٢) التصوف او علم الباطن طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالأفكار حسب العقائد والأبصار، أصله نور سماوي ونظر الهي يقع في قلب العبد ينظر به نظرة فيرى امر الدارين حقيقة، ومذهب الصُّوفيَّة ظاهر وباطن فظاهره استعمال الآداب والاخلاق الحسنة مع الخلق وباطنه منازلة الاحوال والمقامات مع الحقو وان الظاهر علامة الباطن والباطن حقيقة الظاهر. ينظر: عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الإسلام والطريقة القَادِرِيَّة في الصَّحرَاء وغرب أفريقيّا، البحوث التاريخية (مجلة)، العدد ٢، طرابلس، تموز ١٩٨١، ص٣٢٣.

٥٣) نجمي رجب ضياف، المصدر السابق، ص٢٤٤.

٥٤) حسين سيد عبد الله مراد، المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين (٤٥٤-٦٦٨ه / ١٠٦٢-١٢٦٩م)، المطبعة الإسلاميَّة الحديثة، القاهرة، ١٩٩٤، ص٨٩-٩٠.

٥٥) الطوطمية: هي نظام ديني ساحق في القدم عند الشعوب البِدائيَّة لاسيما، اهل أفريقيّا الذين يجعلون القبيلة منحدرة من أصل نبات او حيوان، فهو حسب اعتقادهم السلف المتجسد والروح الحامية للقبيلة، ومن ثم كانوا يقدسونه

ويحمونه ولا يأكلونه . ينظر: س. ك. ميك، دراسات في قبائل الشمال النيجيري، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ج١، المركز القوميّ للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ص٥١-٥٦.

٥٦) وول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب وآخرون، ج١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨، ص١٠٦-١٠٧.

57) Henri Lhote، Les Touaregs Du Hoggar(Ahaggar)، Op.Cit.، P.350.

٥٨) أ. س . جوتييه، الصَّحرَاء، الناشر وزارة التربية والتعليم بمصر، القاهرة، د.ت، ص١٨٣.

٥٩) بول مارتي، دور العرب الليبيين في مقاومة الغزو الفرنسي في بلدان الحزام وجنوب الصَّحرَاء بالقارة الأفريقيّة، ترجمة محمد عبد السلام العلاقي، جمعية الدعوة الإسلاميَّة العالمية، بنغازي، ٢٠٠١، ص٧٦.

٦٠) جيمس ريتشاردسن، ترحال في الصَّحرَاء، ترجمة الهادي مصطفى ابو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٣، ص١٢٤.

٦١) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقين ١٤٩٣-١٥٩١، الشركة الوطنيَّة للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧١، ص١٣٥.

٦٢) صالح بن حمادي، دراسات في الاساطير والمعتقدات الغيبية، دار بسلامة للطباعة والنشر، تونس، ١٩٨٣، ص٣٤.

٦٣) نجمي رجب ضياف، المصدر السابق، ص٢٦٤.

٦٤) الناني ولد الحسين، المصدر السابق، ص١٩٩.

٦٥) محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، الدار العربيَّة للكتاب، تونس، ١٩٨٠، ص٢٠٩-٢١١.

المصادر والمراجع

١. المصادر العربية:

٢. أ. س . جوتييه، الصَّحرَاء، الناشر وزارة التربية والتعليم بمصر، القاهرة، د.ت، ص١٨٣.

٣. ابراهيم احمد بلولة، الهجرات والقوافل التّجارِيَّة عبر الصَّحرَاء الكبرى واثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلاميَّة، دراسات دعوية (مجلة)، العدد٩، الخرطوم، شباط ٢٠٠٥، ص٣٣٢.

٤. ابو عمرو خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ط٢، تحقيق اكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق – بيروت، ١٣٩٧ه، ص٢٠٥.

٥. احمد محمد حسنين باشا، في صحراء ليبيا، تحرير، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعيّة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٧٧-٧٨.

٦. اركان علي حسن، العقل والاستدلال به عند اصحاب المدرسة الاشعرية، الاستاذ (مجلة)، العدد٢١٠، بغداد، ٢٠١٤، ص٣٥٣-٣٦٩.

٧. اسماعيل العربيّ، حاضر الدول الإسلاميَّة في القارة الأفريقيّة، المؤسسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص٢٤٤.

٨. بدري محمد فهد، الصلات الثَّقافِيّة بين العرب وأفريقيّا من خلال الحركات الشعبية، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨.

٩. بطل شعبان محمد غرياني، العامة في دولة صنغي (٨٦٩-١٠٠٠ه/ ١٤٦٤-

١٥٩١)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد البحوث والدراسات الأفريقيّة، جامعة القاهرة، ٢٠١١، ص٦.

١٠. بول مارتي، دور العرب الليبيين في مقاومة الغزو الفرنسي في بلدان الحزام وجنوب الصَّحرَاء بالقارة الأفريقيّة، ترجمة محمد عبد السلام العلاقي، جمعية الدعوة الإسلاميَّة العالمية، بنغازي، ٢٠٠١، ص٧٦.

١١. تاديوز ليفسكي، دور الصَّحرَاء الكبرى واهل الصَّحرَاء في العلاقات بين الشمال والجنوب، بحث منشور في كتاب تاريخ أفريقيّا العام، المجلد الثالث، ط٢، منشورات إليونسكو، لبنان، ١٩٩٩، ص٣٤٣.

١٢. تيسير بن موسى، المجتمع العربيّ الليبي في العهد العثماني دراسة تاريخية اجتماعيّة، الدار العربيَّة للكتاب، طرابلس، ١٩٨٨، ص٤٨.

١٣. جاسم محمد شطب العبيدي، المواقف العثمانيَّة ازاء الدعوة السَّنوسيَّة ١٨٤٠-١٩١١، جامعة كربلاء العلميَّة (مجلة) ،العدد٢، كربلاء، ٢٠١٥، ص١٧٥.

١٤. جاك ووديس، جذور الثورة الأفريقيّة، ترجمة احمد فؤاد بليع، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١، ص٥٦٧.

١٥. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ط٤، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١، ص٤٧.

١٦. جيمس ريتشاردسن، ترحال في الصَّحرَاء، ترجمة الهادي مصطفى ابو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٣، ص١٢٤.

١٧. حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصَّحرَاء الكبرى، معهد الدراسات العربيَّة العالية، القاهرة، ١٩٥٧، ص٥١.

١٨. الحسن السائح، الحضارة الإسلاميَّة في المغرب، ط٢، دار الثقافة للنشر

والتوزيع، المغرب، ١٩٨٦، ص١٣٨.

١٩. حسن جلال الدين محمد علي، مملكة مالي الإسلاميَّة وأهمّ مظاهر الحضارة بها، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد البحوث والدراسات الأفريقيّة، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، ص١٢٤.

٢٠. حسين سيد عبد الله مراد، المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين (٤٥٤-٦٦٨هـ / ١٠٦٢-١٢٦٩م)، المطبعة الإسلاميَّة الحديثة، القاهرة، ١٩٩٤، ص٨٩-٩٠.

٢١. حسين مؤنس، الطرق الصُّوفيَّة واثرها في نشر الإسلام في الصَّحرَاء الكبرى، معهد الدراسات الإسلاميَّة في مدريد(مجلة)، العدد٢١، مدريد، ١٩٨١، ص٨٢.

٢٢. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٧، ص٧٣-٨٠.

٢٣. حماه الله ولد السالم، الأصول الفكريَّة لحركة المرابطين اضواء جديدة حول الفكر الإسلاميّ بالمغرب والصَّحرَاء الكبرى، الجامعة المغاربية (مجلة)، العدد٩، طرابلس، ٢٠١٠، ص١٠٧-١٠٨.

٢٤. دولت صادق، شرقي أفريقيّا دراسة في جغرافية الإسلام، المجلد الرابع، مركز البحوث جامعة الأمّام محمد بن سعود الإسلاميَّة، السعودية، ١٩٨٤، ص١٣.

٢٥. زكية بالناصر القعود، دور القوافل التّجارِيَّة في التفاعل الثَّقافِيّ بين ليبيا والمغرب العربيّ وما وراء الصَّحرَاء والسودان في العصر الوسيط، افاق الثقافة والتراث (مجلة)، العدد٨٦، دبي، حزيران ٢٠١٤، ص١٣٨.

٢٦. س. ك. ميك، دراسات في قبائل الشمال النيجيري، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ج١، المركز القوميّ للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ص٥١-٥٦.

٢٧.الشاوي اللالة البكاي اماهين، الطَّوَارق عبر العصور، تحقيق إصلاح محمد البخاري حمودة، دار الكتب الوطنيَّة، بنغازي، ٢٠٠٧، ص١٤٨-١٤٩.

٢٨. شوقي عطا الله الجمل، الحضارة الإسلاميَّة العربيَّة في غرب أفريقيّا سماتها وعوامل انتشارها، الدراسات الأفريقيّة(مجلة)، العدد ٨، القاهرة، ١٩٧٩، ص٤٧-٤٨.

٢٩.صادق يلي، مالي والسنوات العجاف، العربيّ (مجلة)، العدد٣٧٠، الكويت، ايلول ١٩٨٩.

٣٠. صالح بن حمادي، دراسات في الاساطير والمعتقدات الغيبية، دار بسلامة للطباعة والنشر، تونس، ١٩٨٣، ص٣٤.

٣١. عبد الجليل التميمي، الروابط الثَّقافِيّة المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب أفريقيّا خلال العصر الحديث، التاريخية المغربية(مجلة)، العدد٧، تونس، ١٩٨١، ص٢٥.

٣٢. عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي دراسات اجتماعيّة وانتروبولوجية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩، ص١٠٤.

٣٣.عبد الرحمن بن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، ج٦، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، ص١٤٢، ج٦، ص٣٧٣.

٣٤. عبد الرحمن زكي، تاريخ الدّولة الإسلاميَّة السودانية بأفريقيّا الغربية، المؤسسة العربيَّة الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦١، ص٥٥-٨٢.

٣٥. عبد الرحمن زكي، حركة الإصلاح الديني في غرب أفريقيّا، معهد الدراسات الإسلاميَّة في مدريد (مجلة)، مجلد١٣، اسبانيا، ١٩٦٥، ص١٤١-١٤٢.

٣٦.عبد الرحمن ميغا، الحركة العلميَّة في مدينة تنبكت خلال القرنين التاسع

والعاشر الهجريين، دار الحديث الحسنية (مجلة)، العدد١٤، المغرب، ١٩٩٧، ص٣٣٢.

٣٧. عبد العزيز شهبي، سياسة الاستعمار الفرنسي تجاه الطرق الصُّوفيَّة بالجزائر في القرن ١٩م، المؤرخ العربيّ (مجلة)، العدد١٧، مصر، ٢٠٠٧، ص٢٥٩-٢٦٠.

٣٨. عبد القادر جامي، رحلة من طرابلس الغرب إلى الصَّحرَاء الكبرى، ترجمة محمد الاسطي، دار المصراتي، طرابلس، ١٩٧٤، ص١٥٢-١٨٤.

٣٩. عبد القادر زبادية، ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر، التاريخية المغربية (مجلة)، العدد ١-٨، تونس، كانون الثاني١٩٧٧، ص٣٣-٣٤.

٤٠. عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقين ١٤٩٣-١٥٩١، الشركة الوطنيَّة للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧١، ص١٣٥.

٤١. عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من اقدم العصور حتى الفتح الإسلاميّ، ج١، دار صادر، بيروت، ١٩٧١، ص١٣٠.

٤٢. عبد الله عبد الماجد ابراهيم، الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب أفريقيّا واستوطنت سودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية، دار الحاوي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨، ص١١؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر، القاهرة، د.ت، ص٦٢.

٤٣. عبد الواحد اكمير، الحضور المغاربي الاوربي في أفريقيّا الغربية، بحث منشور في كتاب العرب والدائرة الأفريقيّة، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٣١-١٣٢.

٤٤. عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الإسلام والطريقة القَادِرِيَّة في الصَّحرَاء وغرب أفريقيّا، البحوث التاريخية (مجلة)، العدد ٢،

طرابلس، تموز ١٩٨١، ص٣١٨-٣١٩، ص٣٢٣.

٤٥.عصمت عبد اللطيف دندش، الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة في غرب أفريقيّا السودان في عهد المرابطين، دعوة الحق (مجلة)، العدد ٢٥٨، المغرب، اوت ١٩٨٦، ص٧١.

٤٦. عصمت هانم عبد اللطيف علي دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيّا مع نشر وتحقيق رحلة ابي بكر المعافيري (٤٣٠-٥١٥هـ-١٠٣٨-١١٢١م)، رسالة ماجستير منشورة مقدمة إلى معهد البحوث والدراسات الأفريقيّة، جامعة القاهرة، ١٩٧٠، ص١٣-١٤.

٤٧.علي يعقوب، جهود العلمَاء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلاميَّة والعربيَّة غرب أفريقيّا مِثَالاً، قراءات أفريقيّة (مجلة)، العدد٣،الخرطوم، ديسمبر ٢٠٠٨، ص٩- ١٨.

٤٨.عميراوي احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصَّحرَاء الجزائرية ١٨٤٤-١٩١٦، دار الهدى، الجزائر، ٢٠٠٩، ص١١١-١٢٥.

٤٩. قاسم الزهيري، الممالك الإسلاميَّة القديمة في أفريقيّا السوداء، دعوة الحق (مجلة)، العدد ٦، المغرب، اذار ١٩٦٢، ص٦٠-٦١.

٥٠.مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ،ج١، ط٤، دار الندوة للطباعة، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص٢٧٥.

٥١. محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، الدار العربيَّة للكتاب، تونس، ١٩٨٠، ص٢٠٩-٢١١.

٥٢.محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمّير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربيَّة، بيروت، ١٩٦٤، ص٣٥-٤٠.

٥٣. محمد عيسى صالحية، صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا وثائق من تاريخ السيد احمد الشريف السنوسي ١٢٩٢-١٣٥٠ هـ- ١٨٧٥-١٩٣٢م، حوليات كلية الآداب (مجلة)، العدد١، الكويت، ١٩٨٠، ص٧-٨.

٥٤. محمد يوسف مقلد، موريتانيا الحديثة غابرها حاضرها او العرب البيض في أفريقيّا السوداء وتاريخهم أصلهم عروبتهم احوالهم، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠، ص٥٦.

٥٥. مصطفى الأنصاري، الاحرار الملثمون الطَّوَارق بين الارهاب والثورة والحب، دار مدارك للنشر، بيروت، ٢٠١١، ص١٥٥.

٥٦. الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، ٢٠٠٧، ص٣٧٧-٣٩٢.

٥٧.نجمي رجب ضياف، مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، دار الكتب الوطنيَّة، بنغازي، ١٩٩٩، ص٢٦٤.

٥٨. هاشم محمد الأمّين البدري، التحديات التي واجهت الإسلام في غرب أفريقيّا(٦٤٨-١٩٣٠)، دراسات أفريقيّة(مجلة)، العدد٥٥، الخرطوم، ٣٠ حزيران ٢٠١٦، ص١٥٤.

٥٩. وداد نصر محمد السيد الطوخي، مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد البحوث والدراسات الأفريقيّة، جامعة القاهرة، ١٩٨٦، ص٣-١٣.

٦٠. وول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب وآخرون، ج١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨، ص١٠٦ -١٠٧.

المصادر الأجنبية:

61. Henri Lhote, Les Touaregs Du Hoggar(Ahaggar), Editions Payot, Paris, 1955,PP.349-350; Henri Duveyrier, Les Touaregs Du Nord, Editeur Challamel Ainé Libraire Ēditeur, Paris, 1864, PP.413.

62. M .H. Lelonge, Le Sahara Aux Cent Visage, Editions Alsatia, Paris, 1945, P.139؛

63. Henri Lhote, Les Touaregs Du Hoggar(Ahaggar), Op.Cit., P.350.

64. Robert Hérisson, Avec Le De Foucauld Et General Laperrine Carnet D,Unsaharien (1909-1911), Librairie Plon, Paris, 1946, P.187; Leon Lehuraux, Au Sahara Avec Le Pére De Foucauld, Baconnier, Paris, 1944, PP.97-126.

65. Attilio Gaudio, Les Civilisations Du Sahara, Bibliothéque Marabout Université, Paris, 1967,P.332.